



بقلم: خيرى منصور

كتب العديد من العرب المتخصصين في علم الاجتماع بدءاً من د. علي الوردي ود. حامد عمار وسيد ياسين وغيرهم عن افتراضات المجتمع الماقرب الى التجمع السكاني منه الى المجتمع تبعاً لتعريفه الدقيق ومنها ما اطلقوا عليه الشخصية الفهلوية او الوصلية اضافة الى السادية والماوسوية لكن العرب لا يعاون بمثل هذه الافكار والانشطة الذهنية والقليل جدا منهم سمع بهؤلاء وامثالهم لهذا تنامت وتفاقت الظواهر السلبية في الواقع العربي وتحالف التربوي مع الثقافي والسياسي ضد الانسان الذي لم يعد ذلك المجهول كما سماه كارل ماركس فالانسان الان له تعريف آخر غير الحيوان الثديي او الحيوان السياسي كما قال ارسطو او الحيوان الناطق والمضاحك كما قال آخرون.

الانسان الان بمعناه الحضاري والاخلاقي لا التطوري اصبح نادر الوجود وبحاجة الى محميات تحصن وجوده وتحول دون انقراضه وقد نجحت الرأسمالية المتوحشة والبيغاوات التي تردد صدق ما تقول في اعادة هذا الادمي قرونا الى الوراء بحيث اصبح صغيراً او بحجم ترانزستور كما قال ولها الم رايش في كتابه رسائل الى الانسان الصغير وفقد ابعاده كلها ولم يبق له سوى بعد واحد هو البعد الاستهلاكي او الامتصاصي الذي تحدث عنه هربرت ماركيوز الذي كان احد المحرضين لثورة مايو 1968 التي عمّت العالم وقادها العمال والشباب.

وما يقترب من جرائم تنسب الى الانسان هي في الحقيقة ذات نسب حيواني بامتياز رغم ان الحيوان لا يقتل لمجرد القتل وانما دفاعاً عن نفسه او بدافع الجوع ولو استمر المتخصصون في علم الاجتماع في استقراء هذا الواقع لربما توصلوا مبكراً الى لقاحات آدمية وامصال تقي هذه المجتمعات من الاصابة بالسادية والفهلوية والانتهازية لكن القطيعة شملت كل مناحي الحياة فلا العلماء اكملوا رسالتهم بسبب النكران والعقوق والترهيب المزدوج اجتماعياً وسياسياً ولما المؤرخون جازفوا بذكر الحقائق كما هي لأن ما قاله كوندرا عن العقاب الجاهل الذي يبحث عن متهم جسده العرب المعاصرون فأصبح المقاسم المشترك الوحيد بينهم هو الخوف.